ملامح من الأمثال العربية الشعبية في السودان : دراسة تحليلية نقدية

مجدي عبد المعروف حسين أحمد

جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا – كلية اللغات – قسم اللغة العربية

الملخص:

تعد الأمثال العربية الشعبية في السودان معبراً أساسياً عن مزاج وتجربة الشخصية السودانية العربية بكل ملامح العزة والقوة والفخر والانهزام.

فجاءت هذه الورقة متناولة هذه الأمثال وما يتعلق بها من تعريف للمثل وبعض شؤونه ، ثم الأمثال العربية الشعبية في السودان وتفسير مضامينها والتعليق عليها ومقارنتها ما أمكن بالأمثال العربية في أمهات كتب الأمثال واستقصاء بعض موضوعات هذه الأمثال.

ABSTRACT

The popular proverbs in Sudan are regarded as a principal expressive of the mode and experience of the Sudanese Arabic character of all it has of glory, power, pride and defeat.

This paper tackles the proverb, definition and some of its affairs, the popular Arabic proverbs in Sudan, explanation of its content, the comment on it and their comparison with the Arabic Proverbs in the main proverbs text books and investigation of some subjects of these proverbs.

مقدمة:

الأمثال عموما تعكس الملامح النفسية والذوقية والفكرية للبيئة التي يعيش فيها الإنسان داخل الكيان البشري,فهي تعبر عن أحلامه وأشواقه وآماله وخلاصة تجربته الإنسانية ,يفوه بها عامة الناس

وخاصتهم , فهي أبقى من الشعر ,وأشرف من الخطابة ,لم يسر شيء سيرها, ولا عم عمومها حتى قيل (أسير من مثل) , وفي ذلك قال الشاعر :

ما أنت إلا مثل سـ ـ ـ ـ ـ ـ ـائر يعرفه الجاهل والخـ ـ ـ ـ ـ ـابر

وتعد الأمثال خلاصة فلسفة الذين يسبرون غور المفردة ,وعصارة تقاليد المجتمعات وعاداتهم , ومرآة صادقة لسلوكهم الاجتماعي ونمطهم الأخلاقي , وما يتمتعون به من ذكاء وعبقرية وخير وجمال وما يوصمون به من قبح وغير ذلك ...

درجت في هذه الورقة البحثية على تعريف المثل وما يتعلق به من معنى وضرب وحكاية وأهمية وأنواع للمثل , ثم إيراد نماذج من الأمثال الشعبية العربية في السودان مصحوبة بتفسير لها أمثال وشواهد متفرقة تبينها , ثم تناولت ملمحين فنيين للأمثال الشعبية العربية في السودان, هما: بعض موضوعات هذه الأمثال , والجناس في هذه الأمثال .

1- **المثل وما يتعلق به**:

أ- معنى المثل :

المثل من أقدم الأبواب الأدبية ميلاداً ، وأكثرها شيوعاً ، وقد سبق الشرق إلى استغلاله لما في الخلق الشرقي من الميل الفطري إلى ضرب الحكمة ، ووجوه الاستعارة .

يستخدم المثل في الخطابة أو لإحداث التحكم الاجتماعي عن طريق إبداء الموافقة الاجتماعية أو عدمها ,كما إنه يستخدم في أغراض التعليم في المجتمعات التقليدية , بالإضافة إلي دور الأمثال ووظيفتها الاجتماعية , فإن لها قيمتها الفنية الخالصة ,إذ أنها تضفي ألواناً على الحديث اليومي , وهي تحتوي على كثير من الحقائق والقيم الأخلاقية .

وقد عني العرب بالأمثال وسادت في مخاطبتهم ، وكان لها فعل عجيب في بعض المواقف التي وقفوها . وقد جمعها بعد ذلك علماؤهم منذ القرن الأول للإسلام ، فأصبحت ذات مقام معتبر في الدراسات الأدبية والتاريخية ، وقد كمل العلماء تلك الأمثال، بجمع قصصها والمواقف التي قيلت فيها ، وغلب على شق منها الخيال ، فحيكت القصص التي تناسبها ، وزينت قصصها بالأشعار والطرائف

ولفظة (مثل) بصيغها المختلفة من أكثر الألفاظ تداولاً وشيوعاً ، فقد لاكتها ألسن العامة والخاصة على حد سواء ، لذا فإن تصور سهولة تقرير معناها أمر متعسر ، ولذا درجت على أن أقف على ما قيل عنها في معاجم اللغة ، وما قاله فيها من كان له فضل السبق في بحثها ودراستها .

شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي بما بين المثَل ، والمثل من فارق ، فقال : ((يقال هذا عبد ا ِمثاك ، وهذا رجل ِمثاك ؛ لأنك تقول : أخوك الذي رأيته بالأمس ِمثاك ، ولا يكون في ذلك َمثل))[1] .

واكتفى ابن دريد بالإشارة إلى معرفة الناس بالأمثال السائرة ، فقال : ((والمثل السائر معروف من الأمثال وجمع مثَل : أمثال وكذلك مثل))[2].

ويبدو أن تفريق الخليل بن أحمد بين اللفظين لم يحل دون ربط أكثر اللغويين بينهما ، وإن خصوا المثَل بما لم يخصوا به المثل من معانٍ ، فقال إسحق ابن إبراهيم الفارابي : ((والمثَل واحد الأمثال ، والمثَل بمعنى المثل ، كما يقال شَبه وشبه))[3] ، وذهب إسماعيل بن حماد الجوهري ، إلى مثل ما ذهب إليه الفارابي فقال : ((يقال هذا مثْله ومثله ، كما يقال شبهه ، وشَبهه بمعنى ...والمثَل ما يضرب به الأمثال ، ومثَل أيضاً ـ صفته))[4]. وصرح أحمد فارس ، برجوع المثل السائر إلى الشَبه قائلاً : (الميم، والثاء ، واللام ، أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء . وهذا مثل هذا : أي نظيره، المثْل والمثال في معني واحد ......، والمثْل والمثَل ، كشبه وشَبه والمثَل المضروب مأخوذ من هذا ؛ لأنه يذكر موري به عن مثيله في المعنى))[5]

وأما الذين جاءوا بعد أولئك ظلوا يؤكدون معنى الشَبه ، ويصدرون به ما تضمنته معاجمهم عن المادة اللغوية ، وإن كانوا قد أضافوا للمثّل معاني أخرى ، كابن منظور ابتدأ المادة بنفس ما ابتدأها به الجوهري ، وذهب في الأمثال المضروبة إلى مثل ما ذهب إليه فقال : ((مثل كلمة تسوية يقال هذا مثله ، كما يقال شبهه وشَبهه بمعنى ... والمثّل الشيء الذي يضرب لشيء ، مثَلاً فيجعل مِثْله، وفي الصحاح ما يضرب به الأمثال قال الجوهري : ومثّل الشيء أيضاً صنعته)) - وأورد في موسوعته اللغوية أكثر ما قيل عن المادة فضمنها معاني للمثّل لم تتضمنها المعاجم السابقة كالعبرة ، والآية والحديث نفسه ، فقال ، وقد يكون المثل بمعنى العبرة ومنه قوله ﷻ : ﴿فجعلنهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾ [6]، ومعنى قوله ومثَلاً ، أي عبرة يعتبر بها المتأخرون ، ويكون المثّل ، بمعنى الآية . قال ﷻ في صفة عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ﴾ [7]، إي آية تدل على نبوته ، والمثل الحديث نفسه، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿و المثْل الأعلى﴾ [8]، جاء في التفسير أنه : قول لا إله إلا ا ، وتأويله أن ا أمر بالتوحيد ، ونفي كل إله سواه وهي الأمثال .

وهذا لم يقتصر ما أضافه ابن منظور على المعاني السابقة ، فقد أضاف ـ كذلك معنى العلمية فقال (المثْل ـ بفتح فسكون ـ مأخوذ من المثّل ـ بالتحريك ـ لأنه إذا شنع في عقوبته جعله مثَلاً وعلماً)) [9]، وأهم من ذلك كله تفسيره للمثل ، بالمثال في قوله : ((والمثّل ما جعل مثالاً : أي مقداراً لغيره يحذي عليه))[10] .

كما اقتصر المعجم الوسيط ـ في الحديث عن المثل ـ على القول (المثّل : المثْل و... جملة من القول مقتطعة من كلام أو مرسلة بذاتها ، تنقل عمن وردت فيه إلى مشابهة بدون تغيير مثل

((الصيفَ ضيعت اللبن)) و((الرائد لا يكذب أهله)) ، والأسطورة على لسان الحيوان أو الجماد كأمثال كليلة ودمنة[11] .

ومن هذا كله يتضح أن اللغويين ـ قديمهم وحديثهم ـ كانوا قد أجمعوا ـ أو كادوا ـ على أن المثَل : الشَبه ، وربط أكثرهم بين المِثْل والمثَل ، وإن أشار قسم منهم إلى ما بين اللفظين من فارق ، كالذي ذكره الخليل ، من أن المثَل بالتحريك - لا يوضع موضع المِثْل - بالسكون .

ولقد أهتم كثير من الباحثين المحدثين والمعاصرين بالأمثال وجمعها ، وصنفوا فيها المصنفات .

ب ـ ضرب وحكاية المثل :

ذكرت لضرب المثل معانٍ عدة ، ففي كتب التفسير وجدها بل في قسم منها ما يزيد على عشرة معان منها : التبيين ، التمثيل ، الجعل ، الوصف ، الذكر ، الوضع ، الاعتمال ، الاتخاذ ، الإيراد[12] .

فيقول ابن اسحق في هذا : ((اذكر لهم مثلاً ويقال : هذه الأشياء على الضرب : أي على هذا المثال ، فمعنى أضرب لهم مثلاً ، ومثلاً منصوب ؛ لأنه مفعول به ، وضرب ا مثلاً : أي وصف وبين ، وقولهم ضرب له المثَل بكذا ؛ إنما معناه بين له ضرباً من الأمثال : أي صنفاً)) [13]. ((وأضرب لهم مثل أصحاب القرية)) [14]، أي اذكر لهم مثلاً و يقال : هذه الأشياء على هذا الضرب، أي على هذا المثال ، فمعنى أضرب لهم مثلاً : مثل لهم مثلاً ، يبين لهم ضرباً من الأمثال : إي صنف منها[15].

ويمكن أن نقول أن ضرب المثَل صوغه ، وإنشاؤه ، وابتكاره ، وإنه اصطلاح كنظم القصيدة أطلق على تلك الصياغة ، وليس غريباً إطلاق الضرب على الصياغة ، فقد جاء في الصحاح والضرب ، الصيغة ، وفي مقاييس اللغة (ومن باب الضرب صيغه) ، يقال هذا من ضرب فلان : أي من صيغته ؛ لأنه إذا صاغ شيئاً فقد ضربه .

أما في حكاية المثل فنجد أن أكثر الذين تحدثوا عن الأمثال ، كانوا قد أشاروا إلى حكاية المثل ، فذهبوا إلى أن الأمثال ، تحكى وهم يقصدون بحكايتها أنها تستخدم على ما جاءت عليه عن العرب شكلاً ومضموناً ، من غير أن يطرأ عليها تغيير - أي تغيير في ألفاظها أو معانيها - أيا كانت المعاني التي تضمنتها ، والصيغ التي صيغت بها ، وكم من مثل إن لم يكن قد جانب الصواب فيما تضمنه من معنى ، فلا أقل من أنه لم يأت بما يقنع ، فوقف علماء العربية من مثل هذه الأمثال موقف التحفظ ، وربما موقف الإنكار في بعض الأحيان ؛ لأنهم لا يرون الأعرابي حجة في غير لغته ، وأن شأنه في غيرها شأن غيره ، يخطئ ويصيب ، وفي هذا يقول الجاحظ : ((والمثَل إنما يلفظ به رجل من الأعراب ، وليس الأعراب بقدوة إلا في الجر والنصب والرفع والأسماء ، وأما في غير ذلك فقد يخطئ ويصيب (فالديك) أحق بهذا المثل الذي ذكرناه....))[16].

وروي عن حمزة الأصفهاني أنه قال : ((حدثني ، أبو حاتم عن أبي عبيد أنه قرأ عليه حديث مادر فضحك ، قال : فقلت له : ما الذي أضحكك ؟ فقال : تعجبني من تسيير العرب لأمثال لها ، لو سيروا ما هو أهم منها ، لكن أبلغ لها . فقلت مثل ماذا ؟ قال : مثل مادر هذا جعلوه علماً بفعلة تحتمل التأويل ، وتركوا ابن الزبير مع ما يؤثر على لفظه وفعله من دقائق البخل فتركوه كالغفل)) ، وذكر بعض ما قيل عن نجله[17] .

وقال الميداني في قوله : (أحمق من الربع) هذا مثل سائر عن أكثر العرب . قال حمزة إلا أن بعض العرب دفع عنه الحمق ، فقال : وما حمق الربع ؟ وا إنه ليجتنب العدوى ، ويتبع أمه في المرعى ، ويراوح بين الأطباء ، ويعلم أن حنينها له دعاء ، فأين حمقه)) [18].

كما قال في قولهم : ((أحمق من الرخمة : هذا مثل سائر عن أكثر العرب إلا أن بعض العرب يكيسها، فيقول :في أخلاقها عشر خصال من الكيس ، وهي أنها تحتضن بيضها، وتحمي فرخها ،

وتألف ولدها ، ولا تمكن من نفسها غير زوجها، وتقطع في أو ل القواطع ، وترجع في أول الرواجع ، ولا تطير في التحسير ، ولا تفتر بالشكير ، ولا ترب بالبكور ، ولا تسقط على الجفير))[19] ، وهكذا في غير قليل من مثل هذه الأمثال ، ومع ذلك فقد أبقوا عليها ، ورددوها من غير ما تحوير أو تغيير في معانيها ، مع ما رووا من أمثال لم يكن لهم ما يعترضون به عليها . وفي مثل ذلك قال المرزوقي : ((من شرط المثل ألا يغير عما يقع في الأصل عليه ، ألا ترى قولهم : (أعط القوس باريها) تسكن ياؤه ، وإن كان التحريك الأصل لوقوع المثل في الأصل على ذلك))[20].

وأشار ابن دريد ، وابن خالويه إلى أن من الأمثال، ما قد يأتي ملحوناً ، ويبقى على ما جاء عليه من لحن ؛ لأن العرب تجري الأمثال على ما جاءت عليه))[21].

وهكذا كانوا يؤكدون حكاية المثل حتى انتهى الأمر بالأستاذ السباعي بيومي إلى أن عرف المثل بالحكاية والسيرورة فقال : ((المثل قول محكي سائر ، يقصد منه تشبيه الذي حكى فيه بالذي قيل من أجله))[22] .

والواقع أن عدم تغيير الأمثال ، إنما يرجع إلى ما يميز به من خصائص لخصها القدماء ، بإيجاز اللفظ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية. فالمثل عندهم أحسن وأوجز عبارة يمكن أن تضمن ما تتضمنه من معنى مصيب، ولهذا تراضاها العامة والخاصة ، وفاهوا بها في السراء والضراء[23] .

ج.أهمية المثل :

ما أكثر الذين تحدثوا عن أهمية الأمثال ، وأبرزوا مالها من مكانة رفيعة ، ومنزلة مرموقة من بين الأنواع الأدبية الأخرى ، فمن متحدث عن أغراضها وأهدافها ، ومتحدث عن خصائصها وميزاتها ، وما تعلق منها بالشكل أو المضمون ، أو كليهما معاً ، ويكفي أن نقف على بعض ما قيل فيها ، لنتبين

ما حظيت به من مكانة في النفوس ، فابن المقفع رأى في المثل أيضاً إيضاحا للمعنى، ومجالاً للتوسع في الحديث ، من غير أن يفقد الحديث رونقه ، ووقعه الحسن على الأسماع ، فقال : ((إذا جعل الكلام مثلاً كان ذلك أوضح للمنطق ، وأبين في المعنى ، وآنق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث))[24] ، وعد إبراهيم النظام المثل نهاية البلاغة ، بعد أن أشار إلى ما اجتمع فيه من خصائص ، رأى أنها لا تجتمع في غيره من الكلام : فقال : ((تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ، إيجاد اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة))[25] ، وذهب ابن سلامة إلى أن الأمثال : حكمة العرب ، وأشار إلى ما كان النظام قد أشار إليه من خصائص المثل فقال : ((الأمثال : حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه))[26].

وأعدها الفارابي أبلغ الحكمة ، لاجتماع الناس عليها ، فقال : ((المثل : ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه ، حتى ابتذلوه فيما بينهم ، وفاهوا به في السراء والضراء ، فاستدروا به الممتنع من الدر ، وتوصلوا به إلى المطالب القصية ، وتفرجوا به من الكرب ، وهو من أبلغ الحكمة ؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص ، أو مقصر في الجودة ، أو غير بالغ المدى في النفاسة)) [27]، وأشار قدامه بن جعفر إلى تفضيل الحكماء والأدباء لها ؛ لأنهم رأوها أنجح - لما يبتغون- مطلباً ، لاقترانها بالحجج والبراهين ، فقال : ((...فأما الحكماء والأدباء ، فلا يزالون يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشكال، ويرون هذا القول أنجح مطلباً ، وأقرب مذهباً ، وإنما فعلت العلماء ذلك ؛ لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكناً فهو محتاج إلى ما يدل عليه ، وعلى صحته ، والمثل مقرون بالحجة))[28] .

أما ابن عبد ربه ، فقد أشار إلى سيرورتها ، واختيار الناس لها ، وجريانها على ألسنتهم في كل زمان، وأعتقد أنها أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، مع ما لها من مكانة في الأدب العربي ، فقال : ((هي وشي الكلام ، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني ، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ، ونطق بها في كل زمان ، وعلى كل لسان ، وهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل أسير من مثّل))(29) .

وتابعه أبو هلال العسكري فيما أضفاه عليها من شرف ، فعدها من أجل الكلام وأنبله ، وأشرفه ، وعد من لم يعن بها - من الأدباء - غير تام الآلة الأدب، ولا موفور الحظ منه(30) .

أما المحدثون من الباحثين ، فقد أكثروا من الحديث عن أهمية الأمثال ، وللباحث في حياة الأمة التي يعمد إلى دراسة حياتها ، في أي مظهر من مظاهرها، وشأن من شؤونها ؛ لأن الأمثال تنبع من جميع الطبقات ، في عاداتها وتقاليدها ، ونظرتها إلى الحياة، وما يضطرب فيها ، وربما كان الأستاذ أحمد أمين من أبرز من تحدث عن هذه الناحية بتفصيل ، من هذا قوله : ((.... وأمثال كل أمة مصدر مهم جداً للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي ، يستطيعون منها أن يعرفوا كثيراً من أخلاق الأمة ، عاداتها وعقليتها ، ونظرتها إلي الحياة ؛ لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها))(31). ولقد فضلها على الشعر في صدق دلالتها ، على لغة الشعب ، فقال : ((فقد ينبع المثل من طبقة راقية ، فيكون راقياً مصقولاً ، وقد ينبع من العامة ، فلا يكون كذلك ، أما الشعر فلا ينبع إلا من طبقة الشعراء ، وهم عادة أرقى من الشعب ، وهم إن فات بعضهم رقي المعنى، فلا يفوته صقل اللفظ ، ومن أجل هذا عبر بعضهم عن المثل ، بأنه صوت الشعب ، ومن أجل هذا كانت دلالة المثل على لغة الشعب ، أصدق من دلالة الشعر)) (32)، وتابعه كثيرون فيما ذهب إليه فمن قائل : أنها : ((من أدل الأمور على عقلية الشعوب ، وعاداتها))(33).

فمهما يكن من شيء ، فلقد ظل المحدثون يؤكدون ما كان قد ذهب إليه القدامى، من إبراز جوانب تلك الأهمية ، كالإشارة إلى شيوعها وانتشارها وجريانها على ألسن العامة والخاصة ، في كل زمان ومكان ، وإيضاح سلطانها على النفوس ومكانتها في القلوب ، لإبرازها غيبيات المعاني ، وإظهارها المتهم في صورة المتحقق ، ومجيئها مقرونة بالحجة ، مدعمة بالبرهان ، وأنها مع قصدها ، وإيجازها ، تفعل فعل الإطناب والإسهاب ، ((فالمثل قول قصير مشبع بالذكاء ، والحكمة ، لسنا نبالغ إذا قلنا أن مثلاً يصلح أن يكون موضوعاً لعمل أدبي كبير ، إذا استطاع الكاتب أن يتخذ من المثل بداية لعمله ، فيعيش تجربة المثل ، ويعبر عنها تعبيراً تحليلياً دقيقاً))[34]. .

الأمثال تقدم لنا هذه اللقطات المتعددة المتنوعة من جوانب الحياة ، هذه الحياة التي كانت وما زالت وستظل تشغل بال الإنسانية أجيالاً ، ولعل أهمية المثل ترجع إلى نزعة الإنسان في تأكيد ذاته إزاء الحياة ، وإذا كانت أساليب التعبير المختلفة كلها تعين على الحياة وفهمها ، فالأمثال أشمل تلك الأنواع ، و من أقصر تلك السبل .

ومن هنا كان لها ما كان من أهمية ، فضلاً عما سبق مما قيل في خصائصها ومميزاتها من حيث الشكل والمضمون ، أضف إلى ذلك أن الأمثال تعد توثيقاً لتراث الأمة ، ومظاهر حضارتها وثقافتها . وهي تعبر تعبيراً صادقاً ، عن تأريخ الأمة والحياة الاجتماعية والاقتصادية ، بل والنفسية .

د ـ أنواع الأمثال :

الأمثال كغيرها من فنون الآداب الأخرى فهي - وإن درجت تحت اسم واحد - تتنوع وتتباين ؛ لأنها ((تتصرف في أكثر وجوه الكلام ، وتدخل كل أساليب القول))[35].

لذلك نجد أن الباحثين ميزوا الأمثال وفقاً لتنوع تلك الأساليب ، شكلاً ومضموناً تارة ، ووفقاً للظرف الزماني والمكاني ، الذي نشأت فيه تارة أخرى ، كما ميزوا بينها بحسب اختلاف ضاربيها ، وطبقاتهم .

ومن هنا كان من الطبيعي أن يقع نظرهم على قسمي الكلام الرئيسين : ((المنظوم والمنثور)) . فأشاروا إلى ما يكون منظوماً ، أو يجئ في النظم ، ما يكون منثوراً . وقد أكثر بعض الشعراء من الأمثال في أشعارهم ، حتى عيب عليهم ذلك ، فقال عبد ا بن المعتز : ((وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في البديع ، بصالح بن عبد القدوس في الأمثال ، ويقول : لو أن صالحاً نثر أمثاله في شعره ، وجعل بينها فصولاً من كلامه ، لسبق أهل زمانه ، وغلب على مد ميدانه - (وعقب ابن المعتز قائلاً) - وهذا أعدل كلام سمعته)) .

وإذا كان ابن عبد القدوس قد أكثر من تضمين الأمثال في شعره ، فإن من الأمثال ما ضربت ـ أول ما ضربت ـ منظومة ، واستنفد المثَل بيتاً ، أو أقل من بيت ، فذكر ابن قتيبة أنه قد قيل : ((قيل لأبي المهوس الأسدي : لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم أجد المثل السائر إلا بيتاً واحداً))[36].

وأشار بعض الباحثين إلى ما جاء من الأمثال طويلاً ،وما جاء منها قصيراً ، حيث إن أمثال القرآن طويلة إذا ما قيست بأمثال الجاهلية[37] ، وذهب بعضهم إلى أن أمثال القرآن الكريم ذاتها تتباين فيما بينها قصيرة أو طويلة[38] .

ومن الباحثين من نظر إلى ضارب المثل أو الطبقة أو الأمة التي ينتمي إليها - فميزت - مثلاً - أمثال الرسول ﷺ عن أمثال الصحابة ، ونسبت كثيراً من الأمثال إلى أصحابها، وميز بعضهم بين أمثال الأدباء والعلماء والحكماء والخاصة والعامة، وأمثال العرب وأمثال العجم ، إلى أخر ما تفضي إليه نسبة الأثر إلى صاحبه أو الطبقة أو الشعب ، وكذلك نجدهم فرقوا في تصنيفهم للأمثال تبعا

للظروف التي وجدت فيها، ففرقوا بين الأمثال الجاهلية والإسلامية ، والمولدة وأمثال البوادي والحواضر ، وأمثال القرآن، والتوراة ، والإنجيل، والزبور . وغير خاف أن أكثر هذه التقسيمات لا تضع بين أيدينا على الفوارق الجوهرية الرئيسة بين مثل وأخر، فالأمثال في الشعر أما أن تكون أمثالاً نثرية ، ضمنت فيه، وتضمينها هذا لا يبرر تمييزها عن غيرها من الأمثال المنثورة،أو أنها كانت قد ضربت - أول ما ضربت - منظومة،وهذه لا تختلف عن الأمثال المنثورة أيضاً ، اللهم إلا فيما يختلف فيه الكلام المنظوم - عموماً - عن المنثور[39] .

وأما بخصوص تقسيم الأمثال إلى طويلة وقصيرة ، فنجد أن الذين قالوا به أو أشاروا ، إليه لم ليجدوا من الخصائص الفنية ما يميزون به المثّل القصير والطويل غير الطول والقصر ، حتى أن بعضهم كان قد نبه إلى أن طول المثل لا يخل بأحكامه وبلاغته ، إذا ما صدر المثل عن فصيح بليغ ، وفي ذلك قال ابن رشيق : ((وقد تأتي الأمثال الطوال محكمة ، إذا تولاها الفصحاء من الناس ، فأما ما كان منها في القرآن فقد ضمن الإعجاز))[40].

أما تفريقهم بين الأمثال وفقاً لضاربيها وطبقاتهم وبيئاتهم ، فأكبر الظن أن الحرص على نسبة القول لصاحبه ، هو الذي حدا بهم إليه و إلا فليس بخاف أن الفروق الفردية بين أصحاب الآثار الأدبية ، لا تخرج بتلك الآثار عن أنواعها المعروفة ، وإن اتسمت بطابع أصحابها وطبقاتهم ، و إلا لتعزر حصر أنواع أي فن من الفنون ، لكثرة الفنانين فيه ، كثرة لا تكاد تحصى .

وكذلك من تقسيمات الأمثال تقسيمها إلى مثل شعبي ، وتعليمي ، وقياسي ، وخرافي ، وفي ذلك يقول د/ عابدين : ((... إن العرب يتفقون مع إخوانهم في إطلاق هذا الاصطلاح - المثل - إذ أطلقوه على المثل الشعبي، والمثل التعليمي ، والمثل القياسي، والخرافة ، كما اقترن المثّل باللغز عندهم ، اقترانهما عند إخوانهم))[41] ، وذهب إلى أكثر من هذا فيما يتعلق باقتران المثل باللغز فقال بشيوع

الأمثال الملغزة في الشعوب السامية والعربية ((... وكانت الألغاز والأمثال الملغزة منتشرة في الشعوب السامية))[42].

ومن هذا يتضح لنا أن الأمثال في تراثنا وحياتنا الحاضرة لها سطوة كبيرة في الحياة الاجتماعية ، وفي الخطاب الفردي والجماعي ، وقد تجد من يتخذ المثل حجة على قضية معينة ، فيصير المثل عنده كالبرهان القاطع ، على الرغم من كونه ـ في واقع الحال ـ خطاباً عادياً له نصيبه من الصواب والخطأ ، كغيره من أنواع الخطاب المعتادة .

2- **الأمثال الشعبية العربية في السودان**:

إن الأمثال الشعبية هي المرآة التي تعكس عادات كل مجتمع وتقاليده, كما أنها تعكس الحياة بحلوها ومرها ، وكثيراً ما تعطى هذه الأمثال لأفراد المجتمع الموعظة الحسنة أو تمنح الصبر لفاقده أو تضيء الطريق لضاله. كما أنها من ناحية أخرى تشير إلى العوامل السلبية والايجابية في المجتمع والفرد, فتحارب الأفكار السيئة وتمتدح المواقف الحسنة ويستخدم المثل في الخطابة أو لإحداث التحكم الاجتماعي عن طريق إبداء الموافقة الاجتماعية أو عدمها , كما تستخدم في أغراض التعليم في المجتمعات التقليدية ,بالإضافة إلى دور الأمثال ووظيفتها الاجتماعية ,فإن لها قيمتها الفنية الخاصة ,إذ إنها تضفي لونية خاصة للحـ ـديث اليومي,كما تحتوي على الكثير من الحقائق والقيم الأخلاقية .وإليك بعض الأمثال الشعبية السودانية مصحوبة بتفسير المثل وبعض ما يدور حوله .

المثل : الما بعـ ـرف ما بدوهو يغـ ـرف !!

تفسير المثل : احترام تخصصات الآخرين . يقال هذا المثل تعريضا بالشخص الذي يقحم نفسه في أعمال لا يجيدها, وهو قريب في المعـ ـنى للمثل الآخر(سيب العيش لي خبازينو) . أو كما

قال الشاعر:

فتى يغرف من بحرٍ   فتى يقلع من صخر

فالذي علم سهل الأمر عليه , فهو يغرف من بحر, والذي جهل صعب الأمر عليه , فهو يقلع من صخر. ومن الأمثال العربية ما يدل على هذا المعنى :

أعط القوس باريها(43)

أي استعن على عملك بأهل المعرفة والتخصص والحذق له.

المثل: الغايب عذرو معاهو..

تفسير المثل: التريث , يعد هذا المثل قاعدة لصحة التوقعات التي تتعلق بالشخص الغائب أو المتخلف عن موعد مهم, ويعني أن كل الأسباب التي يفترضها الحضور لا تعدو كونها آراء تحتمل الصحة والخطأ؛ لأن العذر الحقيقي(الفعلي) لا يعرفه غير الشخص الغائب نفسه... أو كما قال الشاعر :

فيا أيها الغائب المرتجى   فديناك عجل فماذا المهل

فالغائب أعلم بسبب تمهله عن الحضور , بينما الناس في انتظار مشوق له . ومن هذا المثل العربي : المرء أعلم بشأنه (44)

يضرب في العذر يكون للرجل ولا يمكنه أن يبديه. أي أنه لا يقدر أن يفسر للناس من أمره كل ما يعلم.

المثل : سمح القول في خشم سيدو.

الخشم في اللغة ما جاء في جمهرة اللغة :

الخَيشُوم: الأنف، والجمع الخياشيم، هكذا قال قوم. وقال الأصمعي: الخياشيم: العظام الرقاق فيما بين أعلى الأنف إلى الرأس، والواحد خيشوم. وقال ذو الرمة:-

كأنما خالطت فاها إذا وسنتْ   بعد الرقاد وما ضم الخياشيم

ورجل خُشَام: عظيم الأنف، وكذلك جبل خُشَام عظيم الرعن، وهو أنف الجبل المشرف على الأرض.(45)

أما أهل السودان في عاميتهم فيطلقون خشم على الفم تجاوزا .

تفسير المثل: ترك التقليد, يستنكر هذا المثل ثقافة التقليد لا سيما في طريقة الكلام، ويدعو ضمناً إلى ترسيخ ثقافة الإبداع والابتكار.ومن ذلك قول الشاعر :

يقولُ فَيحسن القَولَ ابن لَيلى ويفعلُ فَوقَ أحسن ما يقولُ

فإنه إن قال فقد أفهم , وإن فعل فقد أحسن .أو ما قارب المثل العربي :

لكل ساقطة لاقطةٌ (46)

أي لكل كلمة يسقط من فم الناطق نفس تلتقطها سوءا أو خيرا، يضرب في حفظ اللسان، أي ربما قيض لها من ينميها فورط صاحبها.

المثل: الباب البجيب الريح سدو واستريح.

تفسير المثل: معالجة المشكلات , يقال هذا المثل للشخص الذي لا يستطيع معالجة المشكلات التي تعترضه ، ولا يستطيع تجنبها في نفس الوقت.

المثل : لا بطقّـع ولا بجيب الحجـ ـ ـار .

تفسير المثل : ترك السلبية , يقال هذا المثل للشخص السلبي ، غير المبادر ، الذي لا يشارك في ما يهم مجتمعه ، لا بعمل قليل ولا كثير.

المثل : العترة بتصلّح المشية.

تفسير المثل: التعـلم من الأخطاء, يقال هذا المثل للشخص عندما يرتكب بعض الأخطاء, ويعني أن خطأ الشخص لا يعني عدم صلاحيته للعمل ، وإنما هو أي الخطأ وسيلة لتنمية قدرات الشخص

وخبراته إذا استفاد من أخطائه، بتصحيحها أولاً ، ثم تجنب الوقوع في الأخطاء نفسها مرة أخرى, وفي ذلك قال الشاعر :

قد تعلم الأيام أني لم أزل   جاداً على ما نلت من كابات

المثل: ود البدري سمين .

تفسير المثل: المبادرة , يقال هذا المثل للشخص الذي يبادر إلى إنجاز عمله ، خاصة إذا كان ذلك العمل في الصباح الباكر, وفي ذلك قال الشاعر :

فَقُم نَغْتَنم صفْو الْبكُور فَإنها   غَداةُ ربيعٍ زهرها باسم الثغْرِ

أو كما ورد في المثل العربي :

أبكر من الخنزير (47)

من البكور. وقيل: أبكر من الخنزير وقيل لبزر جمهر: بم بلغت ما بلغت؟ قال: ببكور كبكور الغراب، وحرص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار. قال الجاحظ: الخنازير تطلب العذرة، وليست كالجلالة، لأنها تطلب أرطبها وأحرها وأنتنها، وأقربها عهداً بالخروج، فهي في القرى تتعرف أوقات الصبح والفجر، وقبيل ذلك وبعيده، لبروز الناس للغائط، ويعرف من كان في بيته من الأسحار ومع الصبح أنه قد أسحر وأصبح، بأصواتها ومرورها ووقع أرجلها إلى تلك الغيطان، وتلك المتبرزات، ولذلك ضرب المثل ببكور الخنزير.

لا يبلغ همك الصبحان(48)

يحث به على البكور في الحوائج، ومعناه: أنك إذا تصبحت لم تدرك ما تهتم به. وقيل للأعمش: مالنا نرى حديثك منقى! قال: لما فاتنى من العصائد بالغدوات. وقيل: لبزرجمهر: بم نلت ما نلت من هذا العلم؟ قال: ببكورٍ كبكور الغراب، وحرصٍ كحرص الخنزير، وصبرٍ كصبر الحمار.

المثل: شماتة الأعادي أحر من سكرات الموت

تفسير المثل :في معناه قال الشاعر:

كل المصائِبِ قد تمر على الفَتى   فتهون غير شماتة الحساد

أو كما ورد في المثل العربي :

الشماتة لوم [(49)]

قاله أكثم بن صيفي التميمي. أي لا يفرح بنكبة الإنسان إلا من لؤم أصله. وقال:

إذا ما الدهر جر على أناس   كلا كله أنـ ـاخ بآخريـ ـ ـنا

فقل للشامتين بنا أفيـ ـ ـقوا   سيلقى الشامتون كـ ـما لقيـ ـنا

وفي حديث أيوب عليه السلام، أنه لما خرج من البلاء الذي كان فيه قيل له: أي شيء كان أشد عليك من جملة ما مر بك؟ قال: شماتة الأعداء.

المثل : شن بأسه

تفسير المثل: شن بكسر الشين في اللهجة السودانية تعني أي شيء ,ويضرب المثل لعدم المبالاة والاحتقار .

قبح ا ُ همةً تَتَـ ـ ـ ـسامى   عن كبارِ الأمْـ ـدارِ دون الصـ ـِغارِ

هي أهلٌ لما عـ ـراها من ال   ذل وما مـ ـ ـسها من الاحـ ـتقارِ

المثل : شهرا ما عندك فيه نفقة ما تعد أيامه

تفسير المثل: الشهر الذي لا ينالك في آخره دخلا , لا تحصي أيامه منتظرا نهايته للحث على الاهتمام بما فيه نفع دون غيره .أو كما ورد في المثل العربي :

" شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه "[(50)]

المثل : الشورى سنة وكتاب

تفسير المثل: أما في الكتاب :(وأمرهم شورى بينهم) الشـــــــورى: ٣٨ . (وشاورهم في الأمر) 159آل عمران , وكان الرسول صلى ا عليه وسلم يشاور أصـحابه في كل الأمور .أو كما قال الشاعر :

وألزم الشورى وإن شاورتَ في فعل أمرٍ لا تخالف وامتَثِلْ

المثل :شيء خير من لا شيء

تفسير المثل: يضرب استحسانا أو إلزاما بأن قبول بعض المطلوب أفضل من تركه كله . أو كما

قال الشاعر:

وقنعتَ بالنَزرِ القَليل ولم تَكُن عند القَناعة بالقَليل قَليلا

أو كما قال آخر :

وما زلتُ أَرضى بالقَليل محبةً لَديك وما دون الكَثيرِ حجاب

فهو يرضى بالقليل حبا ووئاما , بينما لديه الكثير .

المثل :شوكته قوية

تفسير المثل: كناية عن شدة البطش , يضرب لمن يغلب ولا يغلب .

أو كما قال الشاعر :

تَرانا بارِزين وكُل حـــَي قَد اتخَذوا مخافَتَنا قَرينـا

ونَشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غَيرنا كَدراً وطينا

المثل : صاحب الحاجة أرعن

تفسير المثل:طالب الحاجة ربما يأتي بأعمال رعناء حرصا على الحصول على حاجته , يضرب تسامحا في غلط العقلاء أحيانا . أو كما قال الشاعر :

غلطَ الفَتى في قَوله   من لا يرِدك فَلا تَرده

المثل : الصبر ضل النبي

تفسير المثل: أهل السودان يقلبون الظاء ضادا في بعض الأحيان ,و يضرب المثل للحث على الصبر ونسبته إلى النبي صلى ا عليه وسلم .

المثل : الصبر مفتاح الفرج

تفسير المثل: إن الأمور إذا اتسعت مطالبها , فالصبر يفتح كل منغلق , يضرب كضمان للصابرين بقضاء حوائجهم وزوال المحن . أو كما قال الشاعر :

وكلّ فرج مفتاحه الصبر   هو كاشف الضر والمهمه

وقال آخر :

فقالت وأين الصبر منك بهجرنا   فما فرج إلا ومفتاحه الصبر

وقال آخر :

صبر عسى الصبر يأتي بعده فرج   وإن تفتق فيه الشمل أو رتقا

أو كما جاء في المثل العربي :

ثمرة الصبر نجح الظفر [51]

يضرب في الترغيب في الصبر على ما يكره.أو كما ورد في المثلين العربيين الآتيين :

دواء الدهر الصبر عليه [52]

حيلة من لا حيلة له الصبر[53]

معناه: أن من لم يقدر أن ينفع نفسه بدفع المكروه عنها قدر أن يصبر فيكسبها المنفعة في ثواب الصبر، وحسن الأحدوثة في ملك النفس. وقال بعض الحكماء: المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان، وإن شراً من المصيبة سوء الخاف عليها، يعني الجزع.

المثل : الصفراء تنْحت

تفسير المثل: الورقة التي تصفر في الشجرة مصيرها السقوط , يضرب لبقاء الأصلح وذهاب غيره .

أو كما قال الشاعر :

أكانت سوى قطعة غُضنَتْ   من الورق اليابس الأصفر

المثل :الشفقة تقل النفقة

تفسير المثل: الشفقة هنا بمعنى الهلع وزيادة الإلحاح في الطلب , ويضرب المثل محذرا من الإلحاح في الطلب . أو كما قال الشاعر :

يعطُون عفواً كلما أعفيتَهم   ويلح نائلهم على الإلحاح

المثل : الشكية لابيداً قوية

تفسير المثل: لابيداً تعني لصاحب اليد , حيث لا توجه الشكوى 'إلا لذي القوة المتين وهو ا سبحانه وتعالى, ويضرب للضعيف شاكيا القوي . أو كما قال الشاعر :

جاء يشكو إليك ذنباً عظيماً   وهموماً به القوي مكبول

المثل : الشماتة خيانة

تفسير المثل:الشماتة هي الفرح بمضرة الغير وهي الخيانة . أو كما قال الشاعر :

يا أيها السفها لا در دركم   فيما الشماتة مهلاً يا أولي الحسد

المثل : شمار في مرقه

تفسير المثل:الشمار نبات له رائحة يستعمل بهارا مشهيا في الإدام إذا وضع في مرقه اللحم عدمت فائدته ,يضرب لكل أمل أو قول أو عمل فشل صاحبه فيه . أو كما قال الشاعر :

إذا فشل المحق وعز من لم   يحقق فالمحق هو الغفول

المثل : الضايق قرصة الثعبان يخاف من مجر الحبل

تفسير المثل: أهل السودان يدخلون (ال) على الفعل .وجاء مثل قول الشاعر أبو المعـالي الطاالوي:

ومن هو الحكم التُرضى حكُومتُه   ومن يدين يعالي فَضله الأُنُس

الترضى هنا بمعنى الذي ترضى , فدخول(ال)على الفعل شذوذا , لأنها من علامات الاسم . ويعني المثل الذي يلسعه الثعبان إذا رأى حبلا يخاف لظنه أنه ثعبان ,يضرب لمن أذي في أمر أو حال فتهيب ما شابهه .

المثل :ضل الدوم

تفسير المثل:ضل بمعنى ظل , والدوم هو شجرة تتميز بطول ساقها وقلة ظلها , وهو يمتد ويرحل سريعا عن الساق , ويضرب المثل للإنسان الذي يصرف نفعه عن أرحامه إلى الأجانب . أو كما قال الشاعر :

ويجيء طَوراً ضره في نَفعه   جهلاً وطَوراً نَفعه في ضـ ـ ره

فَصبرتُ لم أَقطَع حبالَ وداده   وستَرتُ منه ما استَطَعتُ يستره

وأَخٍ أَطَعتُ فَما رأى لي طاعتي   خَرجتُ يأَمره عن أَمـ ـ ـ ـ ره

المثل :طمع إبليس في الجنة

تفسير المثل:يضرب لمن يطمع في شيء وهو لن يناله.

المثل : أظلم من حية

تفسير المثل: ظلم الحية في أنها لا تستطيع حفر جحرها ولكنها تجد جحرا محفورا فتدخل فيه وتخيف صاحبه فيتركه خوفا من سمها , ويضرب المثل مبالغة في التعبير عن الظلم .

المكثار كحاطب ليل [54]

هذا من كلام أكثم بن صيفي. قال أبو عبيد: وإنما شبهه بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الحية ولدغته العقرب في احتطابه ليلاً. فكذلك المكثار، ربما يتكلم بما فيه هلاكه. يضرب للذي يتكلم بكل ما يهجس في خاطره. قال الشاعر:

أحفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يقتلنك إنه ثعبان.

أظلم من حية [55]

لأنها تجيء إلى جحر غيرها فتدخله وتغلبه عليه. وكذلك قولهم:

أظلم من أفعى , يقال أنك لتظلمني ظلم الأفعى. قال الشاعر:

وأنت كالأفعى التي لا تحتفر ... ثم تجي سادرة فتنجحر

وذلك أن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً فكل بيت قصدت إليه هرب أهله منه وخلاوه لها.

المثل : العافية تدخل بخرم الإبرة

تفسير المثل: المرض عندما يصيب الجسم غالبا ما يهجم بشدة , لكنه يزول ببطء , ولذلك قالوا المرض يدخل بخشم القفة (المقطف) أي بفمها ,ويخرج بخرم الإبرة .

زلنا وزال الدهر في براد[56]

يقال: البراد، الضعف يبقى بعد ذهاب المرض.

المثل : عاين تحت كراعك

تفسير المثل:انظر تحت أرجلك , يضرب لمن تعدى حدوده نصحا له ليلازم مكانه , ورحم ا امرئ عرف قدر نفسه .أو كما ورد في المثل العربي :

لم يهلك امرؤ عرف قدر نفسه [57]

المثل :شوف الفارغة واسدر فيها

تفسير المثل:ينظر الأمر الفارغ من المعنى إن كان قولا أو الخالي من الفائدة ويتشبث به , ويضرب ذما وتوبيخا لمن يقول قولا أو يعمل عملا غير مثمر .

المثل : ضربني بكى وسبقني اشتكى

تفسير المثل:يضربني فيبكي ويسبقني فيشتكي .

المثل : العرجا لي مراحه

تفسير المثل: العرجاء من البهائم إذا أعياها الوصول إلى المرعى ترجع إلى مربطها , والإنسان مهما طال به الترحال وبعدت به الشقة فمصيره العودة إلى وطنه .

المثل :العشر قام له شوك

تفسير المثل:العشر نوع من الشجر لا شوك له , يضرب للرجل يكون ضعيفاً فيدعي القوة أو فقيراً فيدعي الغني .

المثل :علموهم ولا تورثوهم

تفسير المثل: من أوجب حقوق الولد على الوالد أن يعلمه أمور دينه ودنياه , يضرب للحث على العلم وتفضيله على الميراث .

المثل :عند الضيق بتعرف الرفيق

تفسير المثل:الرفيق الصديق وهو الذي يتعرض للامتحان في وقت الحاجة الملحة إليه , ويحفظ صديقه في كل شؤونه,كما ورد عن الشاعر(58):

إن الصديق من الرجال هو الذي   إن غبت يحفظ غيبتي كحضوري

وأن تأمن شره ولدغه ,لأنه اعلم بتفاصيلك وفي ذلك ذكر الشاعر:

وإذا الصديق لقيتُه متمـ ـَلقاً   فهو العدو وحـ ـ ـقه يتجنب

لا خير في ود امريء متملق   حلو اللسان وقلبه يتلهـ ـ ـب

يلقاك يحلف انه بك واثـ ـق   وإذا توارى عنك فهو العقرب

الصداقة قوة مادية ومعنوية عظيمة ، تفعل في النفس فعلاً إيجابياً ، يبعث فيها طاقة كبرى على الإحساس بنعمة الوجود ، وجمال الكائنات ، ويزودها بقدرة فائقة على الفعل، فالصديق يشعر بأنه أقوى الأقوياء بصـ ـديقه, فإن يكن غـ ـير ذلك فاعتزال الناس أولى,أو كما قال الشاعر :

قالوا وقد بكـ ـروا لعذلي إذْ رأَوا   أني بقيتُ بلا صـ ـ ـديق فـ ـارِدا

هلاّ اقتنيتَ صداقةً من صـ ـاحبٍ   يغدو علـ ـى نُوبِ الزمان مساعدا

فأجبتُهم والحـ ـ ـقُ ينصر نفسه   والصدقُ لا يـ ـبغي عليه شاهـ ـدا

إن الصديقَ هو اسم معنى لم نجد   من طالبيه في البـ ـ ـرية واجـ ـدا

من لي بهم واللّه لم يخـ ـ ـلقْهم   إن لم أقلْ حـ ـقاً فهاتُوا واحـ ـِدا

المثل : عينه في الفيل ويطعن في ضله

تفسير المثل: رجل أراد أن يصطاد الفيل بحربته فلما أراد أن يطعنه بحربته اضطرب خوفا وطعن ظل الفيل, يضرب لمن يدعي المقدرة على فعل أمر ثم ينصرف عنه إلى غيره رهبة .

المثل : العوافة مضرورة

تفسير المثل: عاف الشيء أبته نفسه ومن تعاف نفسه الطعام يتعرض للجوع ,وربما المرض ,يضرب للتحذير من متابعة النفس .

فلا غرو إن عافَ حلو الطعام　　　أكـــــولٌ تألم من تُخْمته

المثل : الغنا في الغربة وطن

تفسير المثل: ذو المال أينما يحل يجد زوجا وأصدقاء ,لأن المال هو السلاح والقوة , يضرب ترغيبا في جمع المال وصرفه في أوجهه .

وذو المال مستور لكثرة ماله　　　ومن صحب الإملاق تفشى الفضائح

ونازحِ عن عز أوطانه　　　ينفقُ في الغُربة أمواله

غنى المرء في الغربة وطن وفقره في الوطن غربة [59]

أكذب من الشيخ الغريب [60]

لأنه يتزوج في الغربة وهو ابن سبعين، فيزعم أنه ابن أربعين.

المثل : الغنماية تأكل عشاه

تفسير المثل:الغنماية هي الشاة وهي من أضعف الحيوانات , يضرب للهوان والجبن .

من يهن يسهل الهوان عليه　　　ما لِـــجرحٍ بميت إيلام

المثل : غني الفقارة فقري

تفسير المثل : المنفرد بالثروة بين أقاربه يصير فقيراً مثلهم إن أعطاهم ماله , وإن منعهم يصير فقيراً من الثواب والثناء . وفي هذا المعنى قال الشاعر :

ومن يك ذا فَضلٍ فَيبخَل بِفَضله　　　على قَومه يستَغن عنه ويذمم

وقال أخر :

من ذا يجاريك في فضل ومثلك قد   يسابق الذكر منه سائر المثل

3/ **ملامح فنية للأمثال الشعبية العربية في السودان** :

لعل من أهم ما يتصف به التعبير الشعبي أنه عالمي , ويشكل عملية حضارية تتحقق لدى كل الشعوب دون استثناء , كما أن له صفة الديمومة والاستمرار ,وإن تغير من شكل سابق إلى شكل لاحق ومختلف .[61] كما أن من أهم منجزات الدراسات الشعبية ,والنظر في ما هية وطبيعة الموروث الشعبي , هو الفهم الأشمل والإدراك الأعم لشعب ما من الشعوب , بسبب التماثل والتداخل بين تراث الشعوب في مستويات مختلفة ... ولأن التعبير الشعبي القريب لا يمكن أن يفهم إلا في إطار البعيد والقريب ,وأن أدراك الخاص لا يمكن أن يتم إلا في إطار معرفة القوانين التي تتحكم في العام .[62]

أ- والمتأمل في الأمثال الشعبية العربية في السودان , يستطيع أن يضع يده على محاور ومجموعة قضايا تشكل قواسم مشتركة بين أمثال السودان الشعبية العربية وغيرها من مجتمعات وشعوب عربية أخرى . ويرى الباحث أن هذا المشترك يتبلور في موضوعات تدور في فلكها أمثالهم الشعبية , وتأتي على النحو الأتي :

1- **الأصل والنسب :**

*(الخال والد) , يهتمون بالخؤولة , فالخال أصل لصورة الابن, وهو الطريق الأمثل نحو الولد الصالح.

*(علموهم ولا تورثوهم) , العلم من أوجب حقوق الولد على الوالد , ويقصد بالعلم العلم الديني والدنيوي , وهو أصل والميراث فرع .

*(عبدا بسيده ولا حرا مدهده) ,عبد معروف أصله وله سيد مسئول عن كفالته , ولا حر بلا عمل .

2- **الخير والشر:**

* (شمت الأعادي أحر من سكرات الموت) .

*(شوكته قوية) .

* (الصابر في خير) , يضرب تأسيا للمصابين .

* (صباحات ا بيض) , يضرب تيمنا بضياء الشمس وجمالها , وما في الصباح من بركات .

*(ضاقت به الوسيعة) , يضرب شماتة على عدو , أو شفقة على صديق .

*(شكارتها مشاطتها ووزيرتها) , يضرب لمن يمدح بلا استحقاق .

* (الضوء ما بندس) , الصالح من الأعمال لا يخفى , بل يظهر, يضرب للحث على عمل الخير .

* (الصبر مفتاح الفرج) .

*(ضاقت به الوسيعة) ,هو في حال سيء حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت .

*(الشماتة خيانة) .

*(طمع إبليس في الجنة) .

*(الضوء ما بيقولو ليه سو) .

*(الطايلة ما بتقصر) , لا يجتمع الضدان الطول والقصر .

3- **النظام والانضباط والتخصص في العمل** :

* (الما بيعرف ما بدهو يغرف) .

*(أعدل من ميزان) ,هو في أحكامه ومعاملاته الدينية والدنيوية مع من يخالطهم أعدل من الميزان .

* (العين ميزان) , عين الأريب الحاذق إذا قاست شيء أو حذرته أحسنت تقديره .

4- **الصداقة :**

* (عند الضيق بتعرف الرفيق) .

* (العدو ما بيبقى صديق والحنظل ما بيبقى بطيخ) , العداوة المتأصلة شبيهة في تحولها إلى صداقة بتحول مرارة الحنظل إلى حلاوة البطيخ .

5- **الأعراف والقيم الاجتماعية :**

ومن الأعراف ما هو مستحسن ينسجم مع النظرة السليمة والخلق القويم وتعاليم الدين , ومنها ما هو مستهجن ولا يستشري إلا في المجتمعات المفككة غير المتآلفة . ومن الأمثال التي جاءت في ذلك :

*(الشورى سنة وكتاب) .

*(صاحب الدرهم صياد).

*(الصبر ضل النبي) .

*(الصبر مفتاح الفرج) .

*(الصدقة الخفية تصلح الذرية) .

*(الضر عكاز حديد لا ينكسر لا يسوس) ,بغض وعداء الضرتين بينهم كعمود من حديد لا ينكسر لا يؤثر فيه السوس , يضرب تأكيدا لدوام عداء الضرتين .

*(طنين بعوضة في أضان فيل) , أهل السودان يقلبون الذال ضادا , فيقصدون بأضان أذان .وهذا يدل في المبالغة في الاحتقار وعدم المبالاة.

*(عترة الرجل تداوي ..عترة اللسان ما تداوى) .

* (عشاك إن بات يغديك) , لو أخرت طعام العشاء إلى وقت الغداء فإنه يكفيك , يضرب ترغيبا في الاقتصاد .

* (عفا ا عما سلف) .

* (الباب البيجيب الريح سدو واستريح) .

تعد الأمثال الشعبية – في أغلبها – قاسما مشتركا بين معظم شعوب العالم وليست العربية فقط ,فنجد هذه الأمثال أعلاه في كثير من البلدان العربية والأجنبية , وهي تعبر عن أنماط وسلوك المجتمعات بخيرها وشرها .

ب-الجناس في الأمثال الشعبية العربية في السودان :

يقال – هذا يجانس ذاك – أي يشاكله و يطابقه ويماثله ويشابهه. وذلك بأن يتفق اللفظان ويختلفا في المعنى . ومنه الجناس الكامل والناقص . والجناس بجانب ما فيه من موسيقا وإيقاع جميل فانه يثير فكر السامع إلى معرفة طبيعة الشبه والخلاف بين الألفاظ الموسيقية المتجانسة .ومن ذلك :

- (الشق حساي والعبد نساي) , الشق في الأرض يبتلع الماء فلا يظهر على أثره فوق سطح الأرض , والعبد ينسى ما يصنع فيه من معروف .
- (الشقوق ولا المخلوق) ,يفضل بعض الناس أن يدفن ما ينتفع به عادة في شقوق الأرض من أن يعطيه أحد من خلق ا .
- (العصا لمن عصى) .
- (الحسود لا يسود).
- ((أتاريك يا بن عمي ... عايز تشرب من دمي)

- (من جد وجد) .
- (من تغدى تمدى ومن تعشى تمشى) .
- (اصرف ما في الجيب ..يأتيك ما في الغيب).
- (أبعد حبه تزيد محبه) .
- (يوم عسل ويوم بصل) .
- (الصباح رباح) .
- (العين بصيرة والإيد قصيرة) .
- (شايب وعايب) .
- (عمر الشقي بقي) .
- (عين الحسود فيها عود) .
- (الغرامة ولا ضياع الكرامة) .
- (غزرة جيش ومحقة عيش) , حياة العاطل تكون زيادة في العبء على من يعوله بلا فائدة , يضرب للذي لا فائدة منه لنفسه ولا لغيره من الناس .

*(الصدقة الخفية تصلح الذرية) .

إن الأمثال الشعبية لها تأثيرها الخطير في حياة العامة من الناس وهي شريحة من المجتمع لا يمكن تجاهلها , فقد أولعوا بها وعشقوها حتى جعلوها قاعدة لسلوكهم . فهم قلما يعرضون أمرا أو يروون حديثا أو يقصون قصة أو يسردون رواية إلا أيدوا قولهم بمثل من أمثالهم , وخاصة التي يظهر بها إيقاع الجناس .

خاتمة :

بعد هذه السياحة النقدية التحليلية في الأمثال الشعبية السودانية نخلص إلى الأتي :

1- تعد الأمثال خلاصة تجارب الأمة, وعصارة تقاليدهم وعاداتهم .
2- الأمثال الشعبية السودانية مستمدة من التراث العربي والثقافة العربية .
3- تدعو الأمثال الشعبية السودانية إلى دعم المواقف الايجابية في إنسان السودان وحضه على ترك السلبيات في كثير من مواقفها.
4- الثقافة الشعبية عموما لا تجد العناية الفائقة في دراساتنا المعاصرة , وخاصة الثقافة الشعبية العربية.
5- الأمثال الشعبية أكثر شيوعا من الأجناس الأدبية الأخرى .
6- تمتاز الأمثال الشعبية السودانية بإيجاز اللفظ, وإصابة المعنى , وحسن التشبيه , وجمال الإيقاع .
7- تعد الأمثال الشعبية تراثا به خبرات سابقة سبرت غور التجربة الإنسانية, لذا يجب المحافظة عليها.
8- الهدف من دراسة التراث الشعبي عامة والأدب الشعبي بفنونه المتعددة على وجه الخصوص هو تحقيق التنمية للمجتمعات والتنوير للشعوب .

المصادر والمرجع :

1. ابن منظور – لسان العرب – دار صادر للطباعة والنشر – بيروت – 1955م- مادة (م ث ل).
2. الفارابي – ديوان الأدب - (مخطوط) - دار الكتب المصرية - رقم 4701 - نقلاً عن د. محمد جابر الفياض - الأمثال في القرآن الكريم – معهد الفكر الإسلامي – 1993م - ص28 .
3. ابن فارس – مقاييس اللغة – ط 1 – طبعة دار إحياء الكتب العربية – عيسى الحلبي وشركائه - القاهرة - 1366هـ – تحقيق : عبد السلام محمد هارون – مادة (م ث ل) .
4. نفسه - مادة (م ث ل) .
5. ابن دريد – جمهرة اللغة – ج 2 - طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد - الدكن – 1336هـ – ص 50 .
6. سورة الزخرف : الآية 56 .
7. سورة الزخرف : الآية 59 .
8. سورة النحل : الآية 60 .
9. ابن منظور – لسان العرب – مادة (م ث ل) .
10. نفسه ، مادة (م ث ل) .
11. راجع : د. محمد جابر الفياض – الأمثال في القرآن الكريم – ص 30 .
12. نفسه ، ص 67 .
13. ابن منظور – لسان العرب – مادة (ض ر ب) .
14. سورة يس : الآية 13 .
15. لسان العرب – مادة (ص ر ب) .

16. الجاحظ – الحيوان – ج 2 – ط 1 - ط مصطفى الحلبي - مصر - 1938م - ص150 – تحقيق عبد السلام هارون .
17. الميداني – مجمع الأمثال – ج 2 – ط 2 – مطبعة السعادة – ص 113 - تحقيق محي الدين عبد الحميد .
18. نفسه - ج 1 - ص 225 .
19. نفسه – ج 1 - ص 225 – 226 .
20. السيوطي – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – ج 1 - دار إحياء الكتب العربية – عيسى الحلبي – القاهرة - ص 486 .
21. السيوطي – المذهب في علوم اللغة وأنواعها – ج 1 - ص 488 .
22. السباعي بيومي – تأريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي – مطبعة العلوم - مصر – 1932م - ص 86.
23. الفارابي – ديوان الأدب – مخطوط .
24. ابن المقفع – الأدب الصغير– مطبعة محمد علي صبيح – القاهرة - 1961م - ص 40 – 41.
25. مجمع الأمثال – ح 1 ، ص 6 .
26. الزهر – ج 1 ، ص 486 .
27. نفسه ، ص 486 .
28. قدامه بن جعفر – نقد النثر – تحقيق : د. طه حسين وعبد الحميد العبادي – المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة ، 1941م ، ص 73 و 74 .

29. ابن عبد ربه الأندلسي – العقد الفريد – ج 3 - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة 1940م - ص 63 .
30. راجع : أبو هلال العسكري – جمهرة الأمثال – اعتني بطبعه الميزرا محمد – 1307هـ – المقدمة .
31. أحمد أمين – قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية – ط 1 - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة -1966م - ص 61 .
32. أحمد أمين – فجر الإسلام – ط 6 - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - 1950م - ص 61 .
33. لجنة من أدباء الأقطار العربية – الحكم والأمثال - دار المعارف - مصر – المقدمة .
34. د. نبيلة إبراهيم – أشكال التعبير في الأدب الشعبي – مطبعة العالم العربي– مصر – ص 144.
35. أبو هلال العسكري - جمهرة الأمثال – المقدمة .
36. ابن قتيبة الدنيوري (عبد ا بن مسلم) - الشعر والشعراء – دار المعارف - مصر - 1966م – ص 14 - تحقيق أحمد محمد شاكر .
37. د. محمد جابر الفياض – أمثال القرآن الكريم – ص 93 .
38. ابن رشيق القيرواني – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ج1 – ط 2 – مطبعة السعادة – القاهرة – 1940م – ص 281 - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
39. راجع : د. محمد جابر الفياض – الأمثال في القرآن الكريم - ص 94 .
40. ابن رشيق القيرواني – العمدة – ج 1- ص 281 .

41. د. عبد المجيد عابدين – الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى – ط 1 - دار مصر للطباعة - ص 23 .
42. نفسه ، ص 11 .
43. (4[4]),(45), (46), (50), (51), (52),(53),(55),(56),(57),(59). الميداني- مجـمع الأمثال – ط2- مطبعة السعادة- ج 1 – ص-38 -323-282-160-171-67-120-329-195-142-225 .
44. (47),(49),(54),(60), أبو هلال العسكري-جمهرة الأمثال – ط الميزرا محمد- 1307هـ - ج 1 - ص 62-219-86-173.
45. (4[8]),(58), الزمخشري-المستقصى في أمثال العرب - ج 1 - ص 136-137.
(61) ,(62)-د. نبيلة عبيد- الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق-ط الرياض 1985م-ص 150,147.
*الأمثال السودانية الواردة في هذه الورقة البحثية جميعها من الموقع الالكتروني www.sudannow,net/arabic/heritage.amthal.htm
*أبيات الشعر الواردة في هذه الورقة البحثية جميعها من الموسـوعة الشعرية www.cultural.org.a
*بابكر بدري – الأمثال السودانية – إعداد وتحليل صلاح عمر الصادق – دار عزة للنشر والتوزيع– الخرطوم – السودان - 2003م .
* الشفاهة الشعبية السودانية.